

دراسة إزدواجية شعر إلياس أبو شبكة و محمد الفيتورى بناءً على "العلاج بالمعنى" لفكتور فرانكل

سيدسليمان سادات اشكور*

الملخص

يستعرض "العلاج بالمعنى" لفرانكل بمكافحة المشاكل النفسية بناءً على مبادئ وتكتيكات محدّدة من خلال إيضاح المعنى وتحليل مفهوم المعاناة، فيسعى إلى إيجاد معنى فى الحياة باعتباره القوة الدافعة الأولى لكل شخص ويساعد الناس على إيجاد معنى معاناتهم وتحويل المواقف الصعبة إلى السلام. يتغير معنى الحياة باستمرار، لكنه لا يمحى أبداً. دور المعالج هو توسيع مجال رؤية الإنسان، حتى يتم وضع المعنى والقيم فى مجال رؤيته ومجال وعيه الذاتى وتغلى الحقائق بداخله دون تدخل الآخرين. يتم اكتشاف هذا المعنى وتجربة المعانى المكونة عند الإنسان بإطاقة الأوجاع والمعاناة وإنجاز الأعمال القيّمة وتجربة الغايات العالية. "العلاج بالمعنى" له علاقة وثيقة بالأدب والشعر لاعتماده على اللغة وعلاج النطق. فتظهر دراسة مقارنة فى أعمال اثنين من الشعراء المعاصرين، إلياس أبو شبكة و محمد الفيتورى، أن هذين الشاعرين كان لهما نهج معاكس نسبياً فيما يتعلق بمفاهيم "العلاج بالمعنى" لفكتور فرانكل. لا يعطى أبو شبكة أى معنى موثوق به للعيش فيها، ودائماً ما يتخذ خطوات تجاه نبد العالم بشكل متطرّف تساهمت فى تكوينه أسباب مثل الفقر، وفقدان والده مبكراً، والعوامل السياسية والاجتماعية السائدة آنذاك. أمّا الفيتورى فيقدّس الآلام والمعاناة ويسعى لتحقيق أهداف نبيلة والقيام بأعمال قيّمة تتجسّد فى شكل شعر المقاومة والوطنية. فمن الأبعاد العديدة التى تؤثر على سلوك الإنسان فيما يتعلق بـ"العلاج بالمعنى"، تمّ البحث حول دور الأبعاد النفسية، الاجتماعية والبيئية فى أعمالهما، فقد تجلّى شعر هذين الشاعرين بزاوية متناقضة تجاه المعنى والمسؤولية الذاتية والالتزام الوجدانى.

الكلمات الدليلية: أبو شبكة، الفيتورى، العلاج بالمعنى، الغاية السامية، حرمة المعاناة.

*. أستاذ مساعد، قسم اللغة الفارسية وآدابها، فرع دهدشت، جامعة آزاد الإسلامية، دهدشت، إيران.
soleiman.sadatashkevar@iaou.ac.ir

المقدمة

يملك الناس اليوم وسائل عيش مختلفة أكثر من أى وقت مضى، لكن ليس لديهم معنى عالٍ لكيفية العيش. فما معنى الحياة؟ هذا هو سؤال أهل هذا القرن. لقد حرّمتنا التكنولوجيا من الحاجة إلى استخدام مهارات البقاء النفسية على قيد الحياة، وعلى ما يبدو فعلياً لا يستطيع المجتمع تلبية جميع الاحتياجات خاصةً الاحتياجات النفسية. يظهر فى جيل الشباب، أكثر من غيره، إنحدار التقاليد وعدم جدواها. يوضّح هذا المقال فقدان التقاليد وهو من الأسباب الرئيسة فى ظهور الفراغ الوجودى. إنّ العثور على الخيوط الدقيقة للحياة المنهارة فى صورة خالية عن المعنى والمسؤولية هو هدف وموضوع النضال من أجل "العلاج بالمعنى"، فيأتى المعنى من العمل الهادف وهو مسؤول عن الالتزام.

يعانى الإنسان من فراغ وجودى مزعج فى جميع المجالات يومياً. ولا شك أنّ مجال الأدب والفن لا يخلو من هذه القضية. تنغمس أعمال الفنانين دائماً فى موجات من الأفكار اللانهائية والمختلفة منهم الشعراء والكتاب.

إلياس أبو شبكة ومحمد الفيتورى هما من كبار شعراء الأدب العربى المعاصر، تركا أعمالاً باقية وخالدة فى ساحة الأدب والشعر. تكشف دراسة الأعمال الشعرية لهذين الشاعرين، بغض النظر عن خصائصها الفنية والأسلوبية، إختلاف وجهات نظر الشاعرين حول العالم، الحياة والموت وفلسفة الحياة، والتي يمكن دراستها جيداً والتعليق عليها من منظور نظرية فرانكل فى "العلاج بالمعنى" أو "المعنائية" بسبب تأثيرها على عمق وجود قارئها.

تسعى "المعنائية" أو "العلاج بالمعنى" بمبادئها وتكتيكاتها الخاصة، والتي تستند إلى أسس نفسية، إلى إيجاد معنى فى الحياة كأول قوة دافعة ومحرضة فى كل شخص. يعتبر فرانكل "العلاج بالمعنى" نوعاً من العلاج النفسى فى إطار مصطلحات ذات صلة بـ"المعنائية".

جدير بالذكر أنّ الباحث فى هذا المقال لم يسع للحكم والتعليق على السمات الفنية لشعر الشاعرين ونوع شخصية هذين الأدبيين، وإنما قام فقط بتحليل قصائدهما بناءً

على أسلوب فرانكل فى "العلاج بالمعنى".

إنّ خلفية حياة إلياس أبو شبكة والأفكار اللاحقة بها، دفعت الشاعر فى قصائده إلى اعتبار الحياة عبثية وفى مراحل من العدمية يمكن رؤيتها بوضوح فى قصائده المختلفة، ولكنّ قصائد الفيتورى مبنية على الأسس التى تجعل الشّاعر ببواعثه والتزامه، تزيل التعب والاكْتئاب. يعتمد "العلاج بالمعنى" لفرانكل على فحص نفسى عميق لهذا النهج الفكرى، ومن خلال التأمّل فى فكر وحياة مثل هذه الشخصيات، يحاول مواجهتها وتحليلها بتكتيكات خاصّة وقواعد محدّدة.

أسئلة البحث

١. ما هو مستوى تأثير البواعث الخارجيّة فى إزدواجية التّعبير عن "المعنائية" فى شعر إلياس أبو شبكة و محمد الفيتورى بناءً على نظرة فيكتور فرانكل؟
٢. ألحَبّ والوطنية والمعتقدات الدّينية أثر فى معالجة مضامين "المعنائية" بناءً على وجهات نظر فيكتور فرانكل فى أشعار إلياس أبو شبكة والفيتورى؟
٣. هل للأبعاد النفسية والاجتماعية والبيئية دور فاعل فى أعمال هذين الشاعرين؟

فرضيات البحث

١. يتأثر التّعبير عن "المعنائية" بالبواعث الخارجيّة فى شعر إلياس أبو شبكة و محمد الفيتورى بالإضافة إلى طبيعة الإنسان وصفاته المتأصلة فى الشاعرين.
٢. للحبّ والوطنية والمعتقدات الدّينية أثر فاعل فى معالجة "المعنائية" والتّعبير عنها بناءً على وجهات نظر فيكتور فرانكل.
٣. للأبعاد النفسية والاجتماعية والبيئية دور فاعل نسبياً فى أعمال هذين الشاعرين.

خلفية البحث

قد تناول العديد من علماء النفس "العلاج بالمعنى" فى عصور مختلفة، خاصةً فى العصر الجديد، نظراً إلى حاجة العصر وانغماس شعوب العالم فى الأفكار المادية وما يترتب عليها من الآثار النفسية والنتائج السلبية، فأنتجت عدة أبحاث ومقالات حول

هذا موضوع في الأدب العربي حتى الآن، فلم يكن هناك بحث مقارنة حول دراسة "العلاج بالمعنى" لفرانكل في أعمال الشعراء، فاخترنا هذين الشاعرين لدراستنا، وذلك بسبب وجهات النظر المختلفة لهما حول قضايا الحياة والصلات الدلالية العديدة لأعمالهما مع الأسس النفسية لـ "العلاج بالمعنى" ليفكتور فرانكل، ومن ثم رأينا دراسة هذا الموضوع في الأدب العربي مثمرة من جوانب مختلفة، وكما أن هناك دراسات عديدة وأبحاثاً حديثة أنجزها العلماء حول القضايا النفسية في لغات مختلفة من العالم. فمن بين الأبحاث الأديبية ذات الصلة التي أجريت في هذا المجال، يمكن ذكر ما يلي:

- "انسان سالم و ويزكي هاي آن از ديدگاه ويكتور فرانكل" (الشخصية السليمة وخصائصها من وجهة نظر فيكتور فرانكل) (طلعت حسنى باقراني، مسعود آذربايجاني، مجلة روانشناسي و دين، ١٣٩٠ ش، العدد ٢)
- "تحليل قصيدة بدر شاكر السياب "رحلة أيوب" بناءً على "العلاج بالمعنى" ليفكتور فرانكل" (قاسم مختاري، مطهر فرجى، مصطفى آدينه، مجلة نقد أدب عربي معاصر، السنة ٧، ١٣٩٥ش، العدد ١٤) فتّمت في المقال مناقشة الجوانب المختلفة في سفر أيوب من منظور "العلاج بالمعنى".
- "اراده معطوف به معنا در غزل هاي حافظ و معنا درماني فرانكل" (الإرادة المعتمدة على المعنى في غزليات حافظ الشيرازي و"العلاج بالمعنى" ليفكتور فرانكل) (محمد حسين نيكدارشد أصل، مجلة پژوهشنامه ادبيات تطبيقي، الفترة السادسة، ١٣٩٣ش، العدد ٢٢) يتناول تجانس أفكار حافظ وفرانكل، وخاصة وظيفة الحبّ في "العلاج بالمعنى" من وجهة نظرهما.
- "مقايسه تطبيقي معنای رنج در اندیشه ويكتور فرانكل و مولانا" (مقارنة معنى المعاناة في فكر فيكتور فرانكل وابن الرومي) (شبنم قدیری يگانه، اسماعيل آذر، ساره زيرك، مجلة جستارنامه ادبيات تطبيقي، السنة ٥، ١٣٩٩ش، العدد ١٦) إنه يفحص المعاني ومؤشرات المعاناة الهادفة في فكر فرانكل وأعمال المولوى.

ولا بدّ أن نشير هنا إلى الفرق بين هذه الدراسة وسابقتها أنها أوّل دراسة قامت

بتطبيق نظريات فيكتور فرانكل فى شعر اثنين من الشعراء الكبار المعاصرين بما فى حياتهما وشعرهما عقائد وآراء متباينة حول الحياة وأغراضها. فالغرض من هذه الدراسة هو الكشف عن هذه الآراء المتباينة حول الحياة وجذورها النفسية وما يرتبط بها من العلوم الاجتماعية والبيئية بالتأكيد على "العلاج بالمعنى" لفكتور فرانكل.

منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفى التحليلى، والذى من خلال دراسة الأسس النفسية لفرانكل وتحليلها، يتفحص بشكل نقدى تواتر هذه الأسس فى شعر إلياس أبو شبكة و محمد الفيتورى. تفسر هذه المقالة مفهوم المعنى فى الحياة ويبحث عن أسس "المعنائية" مثل الهدف السامى، والمسؤولية الذاتية، وحرمة المعاناة، فى قصائد أبو شبكة والفيتورى، بناءً على نظريات فرانكل فى كتابه "العلاج بالمعنى"، فمن ثمّ يتمّ فحص وتحليل الأدلة والأمثلة على أساس هذه المبادئ، فى شعر هذين الشعارين، كما تتمّ من خلال فحصها أيضاً دراسة مدى تأثير هذه الأشعار على قارئها بناءً على آراء فيكتور فرانكل. فالمقال يبحث عن إدراك مفهوم المعنى وحلول شغف الحياة وتحقيق السلام الداخلى، كما يحلّل آثار إعطاء معنى لسلوك الإنسان، مسؤولياته، آلامه ومعاناته فى قصائد هذين الشعارين الكبيرين الذين لهما تأثير كبير على الناس، من خلال تبنيّ منهج مختلف نسبياً فيما يتعلّق بأسس "العلاج بالمعنى". فلذلك تمّ اختيار شاعرين مؤثرين لهما وجهات نظر مختلفة حتى يمكن عرض مبادئ فيكتور فرانكل فى مرآة شعرهم.

الإطار النظرى للبحث

يعود الأصل المعجمى لـ "العلاج بالمعنى" (Legotherapy) إلى الكلمة اليونانية (Logos) تعنى كلمة أو معنى، ولكنّ المعادل الأكثر تعبيراً هو المعنى. (فرانكل، ١٣٨٩: ١٤٩) وبمعنى أوسع، يمكن تفسيره على أنّه شىء يمكن أن يكون سبباً للوجود. يفصّل فيكتور فرانكل المعنى كترجمة بسيطة لهذه الكلمة. وبناءً على ذلك، فإنّ العلاج أو الشفاء جزء من مرور المعنى الذى يهتم به فيكتور فرانكل، فإنّ "العلاج بالمعنى" هو العلاج النفسى

يركّز على المعنى. (المصدر نفسه: ١٤٢)

يتحدّث فرانكل عن البحث عن المعنى كقوة معاكسة لـ"مذهب المتعة" التي يعتمد عليها التحليل النفسى لفرويد و"السلطوية" التي أكد عليها أدلر. يعتبر "مبدأ اللذة" القوة الدافعة لمبدأ الشخصية في التحليل النفسى لفرويد، فمن المبرّر أنّ هدف الإنسان في الحياة هو تجنب الألم والوصول إلى المتعة، وهذا المبدأ هو سبب بقاء الإنسان. لكنّ فرانكل لديه اعتقاد يتجاوز عن هذا. فأساس العلاج النفسى عنده هو المعنى بمواصفاته الخاصّة. (المصدر نفسه: ١٥٣)

وبناءً على ذلك، فإنّ المعنى و التوجه نحوه حقيقة لا يمكن إنكارها في حياة الإنسان، والطبيعة الأساسية للإنسانية هي هذه الحقيقة التي تُلهم الوجود البشرى. هذه الخاصية حتمية ومميزة للبشر، وفي الواقع لا يمكن للمرء أن يستمرّ الحياة بطريقة صحيحة بدونه. فمن خلال الاعتماد المفرط على العلم والعقل، ابتعد الناس المعاصرون عن القيم الفلسفية والروحية الكبرى، والقيم التي يمكن تعميمها على البشرية جمعاء. (شولتز، ١٩٧٧: ٢٠٢)

يعتقد فرانكل بأنّ هناك معنى مخفياً فى كلّ كارثة تحدث في الحياة، إذا قبلنا أنّ العالم الذي نعيش فيه هو عالم من المفاهيم والعلامات، فكلّ حدث هو رسالة لشخص منته ليراه جيداً ويفهم رسالته المخفية. إذا وسع الناس مجال رؤيتهم ليروا المعنى والقيمة المختبئين في تلك الكارثة، فسيكونون قادرين على قبولها بشجاعة ومحاربتها بدراية، وعندما يصلون إلى القبول لذلك المعنى، يمكنهم القيام بواجباتهم ومسؤولياتهم الخطيرة. (فرانكل، ١٣٨٩: ٧) يجب أن يدرك الإنسان أنّ الكارثة هي التي تبرّر الواقع والحياة وتجعل الوجود الإنسانى مزدهراً، فلذلك ينبغي النظر إلى هذه القضية من منظور آخر. يرى فيكتور فرانكل أنّ الحياة لها معنى بأى ظرف من الظروف، حتى أكثر أنواعها مأساوية. فدافعنا الرئيسى في الحياة هو رغبتنا. "العلاج بالمعنى" أو "المعنائية" بغضّ النظر عن العرق واللون والدين والمعتقدات الشخصية، نوع من فلسفة الحياة التي تقوم على الاحترام العميق لكرامة كلّ شخص. وبناءً على ذلك، فإنّ الحياة لها معنى غير مشروط ويمكن لأى شخص العثور عليه واكتشافه فى أى مكان وفى أى وقت. من وجد

الغرض من الحياة بينها بأية طريقة. (المصدر نفسه: ١٥٥)

سيفيد البشر من هذه الحرية بأى ظرف من الظروف. حرية الاختيار هي إحدى أبعاد الوجود البشرى. فلا تحدّد لنا الغريزة أو الوراثة أو الظروف البيئية كل أفكارنا وإنجازاتها.

يعتقد فرانكل أنه إذا أردنا التمتع بصحة نفسية، فلدينا الحرية في اختيار سلوكنا، ووفقاً لنظرة فرانكل، الحرية تعنى التحرر من ثلاثة أشياء: الغرائز، المزاجات والعادات، البيئية.

إنّ الإنسان المعاصر، الذى ليس لديه ما يكفى من المعتقدات والقيم الروحية ولا يعرف سبب المعاناة والشدائد فى حياته، قد عاش نوعاً من الحزن واليأس. يعود معظم المضايقات والأمراض فى القرن الحالى إلى الافتقار إلى الدافع والرغبة والمعنى المناسب لحياة الإنسان وأنشطته وعدم قبول المسؤولية عن الحياة الفردية.

يستخدم فرانكل تجربته القيّمة فى "العلاج بالمعنى" من خلال تحليل وشرح مفهوم المعاناة. يساعد "العلاج بالمعنى" الأشخاص على إيجاد معنى لآلامهم ومعاناتهم وتحويل المواقف الصعبة إلى السلام والراحة. تلعب "المعنائية" دوراً عندما يواجه الشخص أحداثاً ومشاكل لا يمكن التنبؤ بها فيكون يائساً ومربكاً ليس لديه خيار سوى قبول مشكلته أحياناً. يمنح الإنسان السلام ويجعله كائناً نشطاً ومقاتلاً وخلقاً وفعالاً إعطاءً المعنى الضرورى لأحداث الحياة والرسم الدقيق لمشاعر الفرد وعواطفه وتقبّل مشاعره وقضاياه غير المرغوب فيها، والضحك على مشاكل الحياة، وإيلاء المزيد من الاهتمام لحكمة المعاناة الفردية، والعمل قدر الإمكان تجاه الحبّ والتضحية من أجل الآخرين. يؤمن بعض العلماء الآخرين أيضاً بالمعنى الذى يتجاوز الاحتمالات اللامحدودة للقيم الفردية الكامنة للانضمام إلى الواقع، دون العبث بالأسرار العميقة. (ماسلو،

(١٩٧١: ١٢٥)

يحاول "العلاج بالمعنى" رسم حدود خيارات الشخص وحياته. الهدف من "العلاج بالمعنى" هو تمكين الناس من اكتشاف معناتهم الفريدة. (المصدر نفسه: ٢٢) إنّ البحث عن المعنى هو حقاً حاجة خاصّة لا يمكن اختزالها إلى مستوى الاحتياجات الأخرى

وهي موجودة في جميع البشر بدرجة أكبر أو أقل. فيظهر الإنسان إنسانيته بهذه الطريقة وفقاً لنظرة فرانكل، حتى التساؤل عمّا إذا كان هناك أى معنى فى العمل أم لا ؟ يعدّ إنجازاً بشرياً.

عندما يخطو "العلاج بالمعنى" إلى عالم الروحانية اللاواعية، يتم إبراز الإدراك اللاواعى من خلال اكتشاف اللاوعى الروحى، ففى هذه الأعماق الروحية اللاواعية، يتم اتخاذ خيارات وجودية كبيرة وفقاً لرؤية فرانكل. تصل استجابة الإنسان إلى مستوى اللاوعى بهذه الطريقة. فيجب أن يكون الشخص أيضاً مستجيباً فاقداً للوعى بالإضافة إلى كونه مستجيباً واعياً.

يتمّ التمييز بين المحتوى اللاواعى و غريزة اللاوعى والروحانية اللاواعية على أساس نظرة فرانكل، فيشير إلى أنّ فرويد كان يتحدّث فقط عن غريزة اللاوعى؛ ومع ذلك، يمكن أن تكون الروحانية أيضاً غير واعية. وكما يرى فرانكل، الوجود الإنساني هو الوجود الروحى. (المصدر نفسه: ٣٨)

لا يعتبر فرانكل مجال العيش والحياة فضاءً عاماً ومطلقاً، وما وراء الفكرة الشائعة، فهو لا يفسّر الحياة على أنّها تشتمل على أحداث متكرّرة. فيرى لحظات الحياة بمثابة قطع شطرنج يجب على الشخص استخدامها فى الفرص والمواقف المختلفة. لذلك يتغير معنى الحياة من شخص لآخر ومن لحظة إلى أخرى. (المصدر نفسه: ١٦٧)

من خلال الإيحاء بأنّ الإنسان مخلوق مسؤول يجب أن يدرك المعنى المحتمل لحياته، لا ينبغي للمرء أن ينظر إلى العالم على أنه مظهر من مظاهر "الذات" أو كوسيلة وهدف يخدم الازدهار النفسى وتحقيق الذات، ففى كلتا الحالتين، تبدو الصورة التى نرسمها عن العالم يسيرة غير مهمة. لقد أظهرنا حتى الآن أن معنى الحياة يتغير باستمرار، لكنه لا يختفى أبداً. ووفقاً لمناهج "العلاج بالمعنى"، يمكن اكتشاف هذا المعنى بثلاث طرق: ١- من خلال القيام بعمل ذى قيمة ٢- من خلال اختبار "قيمة" عظيمة ٣- التسامح مع المعاناة وحرمة الألم. (فرانكل، ١٣٦٦: ٤٠-٨١)

ليس الغرض من الحياة تجنّب الآلام الحادثة أو التمتع بالذات، بل إنّما الغرض هو إيجاد المعنى الذى يجعل الحياة هادفة. لهذا السبب، يتحمل الناس المعاناة التى لها معنى

وهدف، عن طيب خاطر، فلا داعى للتذكير بأن المعاناة لا معنى لها إذا لم تكن ضرورية. يفوق إدراكُ المعنى النهائي للوجود الفهمَ البشرى حتماً، فيشار إليه فى "المعنائية" على أنه يشتمل على معانٍ عالية. ما طُلب من الإنسان ليس أنه يجب التسامح مع عبثية الحياة وفقاً لتعاليم بعض الفلاسفة الوجوديين، بل بالأحرى، يجب على الإنسان قبول عدم قدرته على فهم المعنى غير المشروط للحياة، من خلال المنطق. لأن المعنى أعمق من المنطق. (فرانكل، ١٣٨٩: ١٨٧)

فيعتقد فيكتور فرانكل أن جميع الأحداث فى العالم لها هدف ومعنى وراء مظاهرها البسيطة. لذا فهو يدعو إلى الالتزام، الحب، المسؤولية والأمل مشيراً إلى أن الافتقار إلى الفهم الصحيح للأحداث من قبل البشر بسبب محدودية عقله ليس دليلاً على أن تلك الأحداث بلا هدف أو لا معنى لها.

"المعنائية" فى فكر وشعر إلياس أبو شبكة

ولد إلياس أبو شبكة عام ١٩٠٣م فى نيويورك وتوفى عام ١٩٤٧م بسبب سرطان الدم. (سابيارد، ١٩٦٢: ١٢) نوع حياة أبو شبكة فى أمريكا الشمالية وفقدان والده الحنون خلال طفولته، والذى كانت تربطه به علاقة عاطفية قوية، ثم وفاة والدته الغنية التى كانت المعيلة الوحيدة له خلال فترة حياته، تسببت سنوات مرهقة فى مرارة شديدة فى حياة إلياس أبو شبكة وتركت خيبة شاملة لا ينتهى فى روح هذا الشاعر والكاتب المتميز. أهدى الشاعر مجموعة الغيتار المليئة باليأس لروح والده. (أبو شبكة، ١٩٩٩: ١٧) بداية الحرب العالمية الثانية خلال طفولة الشاعر، والقمع والفجوة الطبقيه، والاضطرابات السياسية فى ذلك الوقت، وأخيراً مرض السرطان الذى لا يمكن علاجه من بين مشاكل أخرى، أضرب روح الشاعر وجره إلى هاوية موجات فى العاصفة الشديدة الروحية ومن ثم الفراغ. (عبود، ١٩٩٨: ١٠) ويبدو على أنه لا سبيل للشاعر سوى الاستسلام فى كل تناقضات الحياة وهجوم خيبات الأمل. هذه هى التجربة الثقيلة التى أدركها فرانكل مؤلف كتابيه "العلاج بالمعنى" و"الإنسان نحو المعنى"، فى السجن وتحت أحذية الجلادين مع سجناء آخرين.

الإبتعاد عن "المعنائية"

يتّضح من خلال دراسة أشعار إلياس أبو شبكة، أنّ هذا الشاعر لا يعطى أى معنى موثوق به للعالم والحياة، و يتّخذ دائماً خطوات تجاه رفض العالم بطريقة متطرّفة كان لعديد من العوامل الأخرى أثر فى تشكيل هذا الهروب المميت. يشير إلى فقره فى قصيدة تحمل عنوان الفقير:

شاعر الحب قيل عنى قبلاً / لكنّ اليوم شاعر البؤساء (أبو شبكة، ١٩٩٩: ١٩)
 يصوّر أبو شبكة العالم كمحور يدور حوله كل الشرور والمساوى. ليس لديه رغبة فى البقاء فى العالم الملىء بالفساد والدّمار، ولهذا ينشد هكذا:
 إيتاك والدنيا فإنّ لباسها / ييلى المبرّم وطبيها لا يعبق / فى كل حين يستهلّ من الأذى / مطر يخفق أماكنا ويضيق (المصدر نفسه: ٢٣٠)

كما يعبر عن قلقه من القضايا السياسية المضطربة فى العالم، لأنّ العلاقة بين الأدب وبيئته قوية جداً، حيث قيل: «الكاتب ابن بيئته» (الفاخورى، ١٤٢٧: ٢٥)
 فإنّى سأنأى عن بلادى مسافراً / فلسّت أطيع الظلم فى البلد المحلّ / رأيت هنا رهطاً من الناس آثروا / يد الظلم أن تعلو وتفتك بالعدل (أبو شبكة، ١٩٩٩: ٢)

الشكوك الناتجة عن الانعزال و العدمية

يعانى إلياس أبو شبكة من الشعور بالوحدة فى ميدان النضال ضد الفراغ الوجودى والعدمية ولعل يأسه وشعوره بالغرابة جعلاه ضعيفاً، فينشد:
 / يؤأسى همومى وما من صديق / تقول لى وإمّا رأتنى / مجدداً تقف عشرة فى طريقي
 بلوت الحياة فما من أنيس
 فىا ربّ أطفىء سراج شعورى / لأصبح ذا بصر مستفيق / وأخرس بصدري الشباب
 فإنّى / أودّ استماع فؤادى الحقيقى
 لقد طال عهدى بالظلمات / ولم أستتر بسوى الظلمات / كأنّ الدجى مشعلّ فى فؤادى / تزيئته بالشقاء الحياة (أبو شبكة، ١٩٩٩: ١٣٠)

تأثر شعره بموقفه من الحياة وأحداثها المريرة فامتلاً بمفردات مليئة بالفراغ الوجودى

مثل الهموم، الظلمات، الشقاء، الحسرات، الدجى ورجيم الردى.

عدم الثقة بالحياة الهادفة والملتزمة

لا يعيش الإنسان مع الرخاء فقط، فالأهم هو أن يواجه الإحساس باللامعنى فى الحياة و يتعامل معه. لأنّ اضمحلال التّقاليد وعدم جدواها يظهران أكثر من غيرهما فى جيل الشباب. يوضّح هذا المقال فقدان التّقاليد وهو عامل مهم فى ظهور الفراغ الوجودى و العدميّة. قد انعكست الحداثة فى القرن العشرين مظاهرها فى حياة أناسها فى معظم الحالات، فلا توجد التّقاليد والقيم التّقليدية فى خواطر الناس وأساليب حياتهم على عكس القدماء، ونتيجة على ذلك لا يعرف الإنسان المعاصر ماذا يريد أن يفعل وما يقصد من الحياة فيقلّد ما يفعله الآخرون أو يفعل ما يريده الآخرون أحياناً. من ناحية أخرى، هناك أيضاً أشخاص يبذلون سعداً فى المواقف المتباينة حتى فى الظروف السيئة للغاية. ما هو السبب؟ هناك حبّ فى حياة الإنسان يربطه بأولاده أو بأى شخص أو أى شىء يحبّه. فى حياة شخص آخر، موهبة يمكنه استخدامها، أو ربّما هناك ذكريات تستحقّ الاحتفاظ بها، فتستمتع بهذه الذكريات. إنّ العثور على الخيوط الدقيقة لحياة منهارّة على شكل صورة مبنية على المعنى والمسؤولية هو هدف وموضوع النّضال من أجل "العلاج بالمعنى" وبالطبع لا تجبر الإنسان غرائزه البشرية على فعل أى شىء على عكس الحيوانات.

يتّضح من قصائد إلياس أبو شبكة والتأمل فى حياته أنّه يرى أنّ نهاية كل المخلوقات هى الدّمار ووبرأيه يظهر التاريخ ذلك بوضوح. المبالغة فى أصالة العالم، والهروب من الواقع والتفكير فى الموت هى من السّمات البارزة فى قصائده.

هذه الكائنات بادت سراعاً / قصفتها المنون قصف الغصون / سائل الكتب والتّواريخ عنها / واقراً الخبر فى سجل القرون / ليس عمر الإنسان غير منام / تتمشّى أشباحه فى العيون (أبو شبكة، ١٩٩٩: ١٦٢)

كما ينشد :

كيف لا أندب أمسى / ومماتى فى غدى (المصدر نفسه: ٢٣٣)

ينشد أيضاً:

هذى الحياة ثمالة كأس / سقاها رجم الردى للوجود / فدعنى أنلها بقايا جمادى /
لتمتصّها حشرات و دود (المصدر نفسه: ١٣١)

وفى النهاية يعتبر إلباس أبوشبكة نفسه جثة ستغذّيها الحشرات وتتحلل، وكأن
الشاعر لا يؤمن بالحياة بعد الموت ويعتبر الموت نهاية للإنسان وأعماله. فينشد قائلاً:

العمر قصرٌ نحن بين رحابه / والموت منتصب على أبوابه (المصدر نفسه: ١٨٢)
أبوشبكة متشائم جداً حول الدنيا والعيش فيها، فيمكننا أن نقول إنّ الدنيا على
رأس الأمور التى كان متشائماً بشأنها، فهو يعتقد أنّ العالم ملئ بالقمع واللامساواة
ومسلخ يموت فيه الجميع حتماً.

هذا الوجود مشانق نصبت لنا / والظلم فى ساحاته السفاح (المصدر نفسه: ١٨٦)
أبوشبكة يرى العالم مليئاً بالألم والحزن ويعتبر البقاء فيه مصدر معاناة إنسانية
فينشد:

هذه الدنيا سام / تعب فيها الإقامة (المصدر نفسه: ٤٥)
يشتكى أحياناً من ظلم أهل زمانه بالإضافة إلى عذاب الحياة فى الدنيا:
ماذا تسرّ إلى القمر / يا أيها الطير السجين / هل أنت مثلى فى السهر / تشكو
عذابك للسنين (المصدر نفسه: ٢٠٦)

يعتقد أنّ ما يوجد فى العالم هو أكاذيب وقذف وظلم. ومن يبحث عن العدل
والمساواة لن يصل إلى الهدف ويفشل:

رأيتك يا شيخ الحزن تبكى / وما فى الوجود سوى المفترى / إذا كنت تنشد تلك
العدالة / فاذهب إلى كوخك الأحمر (المصدر نفسه: ٢٠)
وينشد فى قصيدة شهيرة أخرى:

ما الجسم فى هذا الوجود سوى بلى / تمشى العصور على أديم ترابه / من عهد آدم
و الضريح مهياً / وجميع هذا الخلق هنّ طلابه / والكائنات لدى الردى العوبة / حتى
الخلود يصير من أعباه (المصدر نفسه: ١٨٢)

الابتعاد عن الحبّ كهدف نبيل

يفشل إلياس أبو شبكة في الحب الحقيقي أيضاً، وهو أحد العناصر الأساسية في مدرسة فرانكل "العلاج بالمعنى" ويقول إنه لا يستطيع أن يتحمّل عبء الحبّ ولا يستمدّ منه أى معنى:

دعيني اندب كالثاكل / فلسنت سوى عاشق راحل / حملت الهوى فى فؤادى
الضعيف / فاثقل حمل الهوى كاهلى / دعيني اموت ولا تنثرى / دموعاً على هيكلك
خامل / فدمع الهوى من بنات الخلود / فلا تهرفيه على زائل (المصدر نفسه: ١٥٦)

يمكن رؤية ذروة اليأس والعجز والتشاؤم عند إلياس أبو شبكة عندما يخاطب الله، فهو يعتبر الله السبب الرئيسى لكل آلامه وأحزانه. ويجسب إن الخالق فهو الذى خلقه تعبساً منذ البداية ليعانى فى الدنيا، وهذا البؤس منع أى شخص من الاستماع لشكواه وإعطائه حقوقه، لأن الآخرين يرونه إنساناً سيئاً آثمًا.

ربّاه! لم تخلقنى تاعساً/أشكو، ما من سامع منصف / كأننى فى الكون جانٍ أتى /
بجادث أعيب مستكنف (المصدر نفسه: ٢٣٢)

فقد امتلأت أشعار هذا الشاعر بمثل هذه الأبيات حيث تتضمّن هذه المفاهيم البنية الأساسية لشعره:

دعيني أموت فحطى التعيس / هوى مع كوكبه الآفل / دعيني أموت فصخر رجائى
/ تحطّمه موجة الباطل (المصدر نفسه: ١٥٦)

العزلة عن تجربة المعانى الملهمّة

لا يوجد الكثير من الإيمان بحرية تجربة المعانى المختلفة والاختيار والتقدير فى أشعار أبو شبكة، وهو ما يقصده "العلاج بالمعنى" لفكتور فرانكل، فضلاً عن الثقة فى أى نوع من التجارب الروحية.

ألفيت دنيا من فواجعها الورى / على بابها لوح من الرق اسود / قرأت عليها
أحرفاً خطّها اللظى / يروعك منها إثنان: سجن مؤبّد (ابوشبكة، ١٩٩٩: ٢٢٤)

بالإشارة إلى المبادئ الأساسية لمدرسة فرانكل فى كتاب "العلاج بالمعنى"، والتي

هي ١- القيام بشيء ذي قيمة ٢- تجربة عمل مشرف ٣- تحمّل الألم والمعاناة، فبرى بوضوح عند دراستنا لأشعار إلياس أبو شبكة أنّ الشاعر لا يؤمن إيماناً راسخاً بتجربة المعاني الملهمة. قد تسببت مجموعة من العوامل الداخلية والبيئية في مزاج بارد ويأس شديد في الشاعر وجعلته يتجنّب العالم وكلّ مظاهره بلا هدف وكما يتجنّب الحياة المنتزعة والمسؤولية. وفقاً للمبادئ الأساسية للعلاج بالمعنى"، فهو لا يسعى إلى القيام بشيء مشرف ذي قيمة، ولا يريد إنجاز تجربة قيمة وحبّ عظيم فعلى أثر ذلك لا يسعى إلى تحمّل الألم والمعاناة. إنّ تحمّل الألم و تقدّسه في مواجهة معاناة العالم هو أحد المبادئ الأكثر وضوحاً والعامل الأكثر عملية في "معنائية" مدرسة فرانكل.

فإنّ كلّ إنسان لديه معرفة كاملة بالعالم داخل وخارج نفسه. تُشير مؤشّرات أخرى من مثل القبول والاحترام والتعاطف مع النفس الإنسانية حتى في المواقف الصعبة، والمسؤولية الذاتية والإيمان الذاتي بالحقيقة إلى أنّنا مسؤولون عن أفعالنا ويجب أن نكون ملتزمين فيما نفكر ونجز. والسلوك هذا هو المصدر النهائي لنجاح الإنسان وسعادته، فيتنسّى له أن يوفرّ السلام والسعادة لنفسه وللآخرين بتأكيد الذات واحترام رغبات الفرد واحتياجاته ومحاوله إيجاد طرق للتعبير عنه بأساليب مختلفة، وأيضاً بالسلوك المحترم تجاه الذات عند التعامل مع الآخرين والعيش بطريقة فنية وتحمّل المسؤولية وتوضيح أهداف وتطلّعات المرء، والقيام بأشياء تساعد على إستكمالها بنجاح. هذه المبادئ والأسس المذكورة هي من التكتيكات المهمة ل"المعنائية" التي لم تتجلّ في أشعار إلياس أبو شبكة الا ضئيلاً جداً لدرجة أنّها لا تظهر.

محمد الفيتورى و "المعنائية" فى شعره

ولد محمد الفيتورى شاعر النضال الإفريقي بالسودان عام ١٩٣٠م لأب سودانى وأمّ مصرية و هو من كبار شعراء النهضة فى السودان. ونشرت "أغانى أفريقيا" سنة ١٩٤٨م فكانت بداية شهرته. يأتى شعره من ثقافتين أفريقية وعربية. (القاعى، ١٤١٤: ٤٥) يمكن رؤية المشاكل والمعاناة فى الشعوب العربية فى آسيا والشرق الأوسط فى قصائد محمد الفيتورى شاعر المقاومة العربية. يقيم الشاعر علاقة عاطفية مع الجمهور

بمهارة خاصّة من أجل التعبير عن الأحداث السياسية والاجتماعية والمظالم بلغة الشعر. شعره ملىء بحبّ الوطن واشتمّاز العدو، فإضافة إلى تأثره بالشّعراء العرب قد تأثر بالشّعراء الغربيين مثل ماياكوفسكى، بوشكين، رامبو وابلونرودا وغيرهم. (صالح، ١٩٨٤: ٩-١٠)

يخاطب الشاعر داعياً النَّاسَ فى الشَّرْقِ إلى المقاومة تجاه المحن والبلايا:
يا أخى فى الشَّرْقِ فى كل سكن / يا أخى فى الارض فى كل وطن / انا ادعوك
فها تعرفنى ؟/ يا اخاً اعرفه... رغم المحن / إننى مرّقت أكفان الدجى / إننى هدمت
جدران الوهن / إن نكن سرنا على الشوك سنينا / ولقينا من اذاه ما لقينا / ان نكن
بتنا عراة جائعينا / إن نكن عشنا حفاة بأئسينا / إن تكن قد أوهت الفاس قوانا /
فوقفنا نتحدّى الساقطينا / فبيننا لأمانينا سجوننا (الفيتورى، ١٩٧٩: ٧٢)

نرى فى الأبيات أنّ الكلمات مثيرة جداً تنبعث عن قلب الشاعر وعاطفته الصادقة تجاه الوطن العربى والشعوب العربية. يدعو الفيتورى إلى النهوض على الرغم من كل الآلام والمحن باستخدام مفردات مثل تمزيق أكفان الدجى وجدران الوهن، السير على الشوك و البيوتوتة جائعاً و العيش حافياً و عارياً، والتحدّى والصمود أمام الجور.

المبادئ الأساسية لفكتور فرانكل فى شعر محمد الفيتورى

قد يواجه البحث البشرى عن المعنى فشلاً، وهو ما يسمّيه "العلاج بالمعنى" فشل الوجود، وتستخدم كلمة الوجود بثلاث طرق وهى: ١- الوجود نفسه، وخاصّة حالات الوجود الإنسانيّة ٢- معنى الوجود ٣- محاولة إيجاد المعنى الحقيقى للحياة الشّخصية وهو البحث عن المعنى. (فرانكل، ١٣٨٩: ١٧٢)

يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار أنّ جهد الإنسان فى البحث عن المعنى والقيمة الوجودية فى الحياة لا يؤدى دائماً إلى التّوازن وقد يسبّب التوتّر، وهذا التوتّر جزء لا يتجزأ من الصّحة العقلية والنفسية. ولكنّه لا يوجد شيء فى العالم يساعد النَّاسَ أكثر من إيجاد معنى لوجودهم فى الحياة.

لا توجد قاعدة عامّة أو شعار يمكن من خلالها إيقاظ الشّعور بالمسؤولية والالتزام

فى شخص أفضل من هذه الطريقة، لأن "المعنائية" تقود الإنسان أولاً إلى أن يعتقد بأن الحاضر هو الماضى فى الحقيقة، ثم القبول بأنه لا يزال من الممكن تغيير الماضى وإصلاحه، فتجعله أن يواجه قيود العالم وأحداثه من ناحية والغاية السامية التى يرمى إليها، من ناحية أخرى.

يعتمد أساس معالجة فرانكل للمعنى، بغض النظر عن الجوانب الفرعية التى ذكرناها آنفاً، على ثلاثة مبادئ مهمة، وهى: القيام بعمل قيم ونبيل، والخبرة السامية والحب، وفى المرحلة النهائية، فهم حقيقة معانى الألم والمعاناة واعتبارها مقدسة. كما ورد فى القرآن الكريم فى الآية ٤ من سورة بلد: ﴿لقد خلقنا الإنسان فى كبد﴾

إنجاز العمل النبيل

الطريقة الأولى للوصول إلى "المعنائية" بوجهة نظر فرانكل هى القيام بعمل قيم ونبيل، وهى طريقة واضحة يتم تحقيقها من خلال العمل والنشاط. يحاول الفيتورى لتحقيق عمل عظيم بالتأكيد والإستمرار، فهو يسعى إلى إصلاح الدول العربية فى الشرق الأوسط وشمال إفريقيا خاصة، حتى تعيش شعوب هذه الأراضى بكرامة ومجد ولا تحت نير الاستعمار والاستبداد. يرى الشاعر مانديلا كرمز للكرامة والحرية ويطالب بطريقته الحكيمة:

ساكن ابدأ فى طفوسك مثل اله قديم / يرصعه ذهب الشمس / كيف يكون جلال
الشهادة / ان لم تكن أنت / تولد فى الموت ... / تكبر فى الموت ... / انت سجين هناك /
اغرقتنى فى إكتمالك / مانديلا ، مانديلا (الفيتورى، ١٣٧٩: ٧٤)

يعتقد محمد الفيتورى أنه بالإصرار والمثابرة والإستمرار، يمكن للمرء أن يتغلب على قمم الكرامة العالية ويقف موقفاً وقف مانديلا. ما يهدفه الشاعر محدّد وواضح، والقودة هذه تجعل الفيتورى أقوى وكما تجعل منه شخصية مسؤولة وملتزمة. يعتمد هذا الالتزام والمسؤولية على المعنى المركزى المشار اليه، كما يخضع لحظة فرانكل المنهجية.

يستخدم الفيتورى فى إنجاز ذلك الهدف النبيل، سلاحه وهو الشعر والكلام، ويتصدى عن قصد وثبات للظلمة والارتباكات النفسية، وينشد الشعر بمسؤولية والتزام.

إنَّ الشَّعر عنده وسيلة و فنٌّ أيضاً في نفس الوقت:

صناعتى الكلام / سيفى قلمى / وكلُّ ثروتى شعور و نغم / لستُ واحداً من أنبياء
العصر /...صناعتى الكلام / قد أجيدُ تارَهُ...وقد أخطئُ تارَهُ (الفيتورى، ١٩٧٠: ٧)
يعتبر الفيتورى أرض إفريقيا مقدّسة في مواجهة الاستعمار ويعتبرها تراثاً قيماً
يجب تسليمه إلى الأجيال القادمة، وهذا هو الالتزام الذى يراه على عاتقه. إنّه يدعو
الأمّة إلى الثورة، لأنّ الأمم يمكنها أن تقرّر مصيرها. يرى الشاعر أنّ أفريقيا ينتمى
لشعوب هذه الأرض وأناسها.

افريقيا / افريقيا النائبة / يا وطنى...يا ارض اجدادية / انى اناديك / ألم تسمى
صراخ الآمى و احقادية (الفيتورى، ١٩٦٧: ٢٦)
وينشد أيضاً:

الملايينُ أفأقت من كراها / ما تراها ملاً الأفق صداها / خرجت تبحث عن تاريخها
/ بعد أن تاهت عن الارض و تاهها / حمّلت أفوسّها وانحدرت / من روايبها و أغوار
قُراها / فأنظُر الإصرارَ فى أعينها / و صياح البعثِ يجتاحُ الجباها / يا اخى فى كل
ارض وجمت / شفتاها و اكفهرت مقلتاها / انطلق فوق ضحاها و مساها / يا اخى قد
اصبح الشعب الها / قم تحرّر من توابيت الأسى / لستُ أعجوبتّها أو مومياها... (المصدر
نفسه: ٣٥)

يفيض الالتزام التحفيزى بأفريقيا فى شعر محمّد الفيتورى. هذا هو نفس الإحساس
القوى والدافع البناء الذين ذكرهما فيكتور فرانكل كمبدأ ل"العلاج بالمعنى". يمكن أن
يكون هذا المبدأ التحفيزى منقذاً لروح الإنسان وجسده فيجعل حياته مليئة بالدوافع
والقوة والسلطة بدلاً من اليأس والفراغ.

الحبّ الأسمى

الطريقة الثانية للعثور على معنى الحياة هى من خلال التجارب القيمة مثل التعامل
مع عجائب الطبيعة أو الثقافة أو إدراك موضوع يسمّى الحبّ. الحبّ هو السبيل الوحيد
للوصول إلى أعماق إنسان آخر. لا أحد لديه القدرة على فهمها بشكل كامل إلا من

خلال الحبّ الجوهري بالنسبة إلى إنسان آخر أو مخلوقات أخرى في كشف وازدهار نفسه في نفوس الآخرين و رؤية جوهره في الأشياء الأخرى. فإنّه الجانب الروحي للحبّ الذي يساعدنا في اكتشاف السمات الرئيسية والخصائص الحقيقية. بالإضافة إلى ذلك، يمكن للحبيب، بقوة الحبّ، إدراك مواهبه وتحقيقه، وهذا مانراه كثيراً جداً في أشعار الشعراء الإيرانيين مثل حافظ الشيرازي و مولانا جلال الدين الرومي وغيرهم. لا شكّ في أنّ محمد الفيتوري يستخدم الحبّ بكلّ معانيه ومظاهره كهدف لكبح الروح الشاردة للإنسان وكطريقة للتعبير عن مشاعره الداخليّة ومواجهة الظلم، وتكون هذه الحالات كلّها ممارسة قيمة تقوم على "المعنائية" في إطار نظرية فرانكل في كتابه "العلاج بالمعنى".

ينشد الفيتوري:

لستُ واحداً من أنبياء العصر /... لكنّ لى هوىّ يكبرُ كلما أكبرُ / لا أمنحه مرةً لملك
مُتوجّج / ولا أمرغُ وجنتيه فوق أعتاب صنم / صناعتى الكلام / قد أجيدُ تارة... وقد
أخطئُ تارة (الفيتوري، ١٩٧٩: ٧)
فينشد أيضاً:

صوتك هذا / إننى أكاد أن المسه / أكاد أن أنشقّ فى غصونه / صوتك يا إفريقيًا
/ هذا الذى يهزنى هزّ الأعاصير صداه / أحبه... وهوانفعال / و دم يغلى / أحبه... و
هو بريق أعين / تشنّجت فيها إرادة الحياة / أحبه... وهو خطى عارية / صوتك يا
أفريقيًا / صوت الاله (المصدر نفسه : ١٤٢-١٤٣)

يعدّ الحبّ من المبادئ المركزيّة والبناءة للنفس فى "المعنائية" أو "العلاج بالمعنى" وهو الذى تحرّر الشّخص من نفسه، فيمكن أن يتجلّى الحبّ فى التّاس والبلد والدين وأى شىء آخر. يمكن لهذا الحبّ المحفّز والمتسلّل أن يقود الإنسان إلى ذروة السّلطة الروحية والمعنائية. وكما عبّر عنها العبقرى الإيراني مولانا جلال الدين الرومي شاعر الحبّ والعرفان بشكل جميل للغاية:

حيلت رها كن عاشقا ديوانه شو ديوانه شو و اندر دل آتش درآ پروانه شو پروانه شو
هم خویش را بیگانه کن هم خانه را ویرانه کن و آنکه بیا با عاشقان هم خانه شو هم خانه شو

بايدكه جمله جان شوى تا لايق جانان شوى كرسوى مستان مى روى مستانه شومستانه شو
(مولانا، ١٣٨١: غزل ٢١٣٣)

يدعو مولانا الرومى فى هذه الأبيات إلى الغرق فى الحبّ و الوصول الى الجنون
كفراشة ترمى بنفسه فى النار لتحترق و تهلك حتى ترى الحبّ و المحبوب. يعتقد الرومى
أنّه يجب على الإنسان أن يبتعد عن نفسه و ينساها حتى يدرك الحبّ الحقيقى.

وأما الفيتورى فحبه لوطنه فريد جداً. إنّ حبّ الوطن والإيمان به من أهم خصائص
شعر الفيتورى، وأفريقيا هى مركز هذه الوطنية التى تقع محوراً خالداً لشعره.

انا لا أملك شيئاً غير ايمانى بشعبى / و بتاريخى بلادى / و بلادى ارض افريقيا
البعيدة / هذه الارض التى احملها ملء دمائى / التى انشقها ملء الهواء / و التى
اعبدها فى كبرياء (الفيتورى، ١٩٧٢: ٥٨)

يشتمل جزء كبير من ديوان الفيتورى على الحب للوطن وحبّ أرض أفريقيا،
فقد أنشد قصائد كثيرة مثل "من أغانى إفريقيا" و "طفل الحجارة" عن أرض فلسطين
و "التراب المقدس" و قصيدة "هوانا" والعديد من القصائد الأخرى و هى تدلّ على
حبه العميق تجاه الناس خاصة الشعب العربى. هذا الحبّ مثل جسر يقوده من دهشة
عالم الشعر إلى الازدهار والالتزام الهادف فى قصائده. إنّ الحياة الهادفة والقائمة على
المعنى والحب هى إحدى المبادئ الأساسية لـ"العلاج بالمعنى" فى مدرسة فرانكل.

حرمة المعاناة

عندما يواجه الشخص موقفاً صعباً لا مفرّ منه، أو يواجه مصيراً لا يتغير، مثل مرض
عضال أو بعض أنواع السرطان مثلاً، يجد فرصة للوصول إلى أعلى القيم وأعمق المعانى
للحياة، وهذا هو تحقق معنى المعاناة عنده. المعاناة هى أفضل مؤشّر لقيمة الوجود
البشرى. فإنّ الطريقة التى ينظر بها الشخص إلى المعاناة أو الطريقة التى يتحمّل بها
هذه المعاناة مهمة للغاية. يعتقد عدة أخرى من العلماء أيضاً أنّ معنى الحياة هو النضال
للوصول إلى حد الكمال. (آدلر، ١٩١٩: ٤١)

بالنظر إلى أنّ الحياة تمضى، فإنّ "العلاج بالمعنى" يدعو الناس إلى الجهد والنشاط

بدلاً من الإنزال. فشير الفيتورى اليه:

ضع أقنعة الآلهة على وجهك / وتحذّ القهر / اصلب عينك / اصلب شفتيك
/ اصلب رأسك / اصلب شمسك / لا تتعذب ... لا تتألم / امضع أحزانك و تبسم
(فيتورى، ١٩٧٩، م: ٤١٢)

يعتبر الفيتورى الصليب رمزاً للاستقرار والبطولة، والموت فى طريق الحرية والوطن
مصدر خلود:

فقير أجلّ... ودميم دميم / بلون الشتاء، بلون الغيوم / يسير فتسخر منه الوجوه /
فيحمل آلامه فى جمود / ويحضن أحزانه فى وجوم / ولكنه أبدأ حالم وفى قلبه يقظات
النجوم / فقير.. فوجه كأتى به دخان تكتف ثم التحم / وعينان فيه كأرجوحتين /
مثقلتين بريح الألم (الفيتورى، ١٩٧٩: ١٧)

إنّ الفيتورى شاعر ملتزم على الرغم من وفور عنصر الخيال فلا ينادى بنفسه عن
المعتقدات الدينية، وهو يخدم القرآن الكريم ويعتمد كثيراً على هذا الدعم القوى ويأمل
فى الإصلاح فى المواقف الصعبة جداً ويرى نفسه مسؤولاً أمام الناس، كما يشير فيكتور
فرانكل فى كتابه "الإنسان نحو المعنائية" مراراً وتكراراً إلى هذا الشعور بالالتزام
والمسؤولية كمبدأ لإنقاذ الروح.

فيتذكر الفيتورى المعاناة التى تحمّلها فى الماضى فى طريقه إلى الحرية، فيدعو
الناس إلى النهوض بصوت عالٍ. يعتبر الشاعر كل الآلام والمعاناة فى طريق حرية
الوطن وإزالة الشرور حلواً و خلاياً:

إن نكن سِرنا على الشوك سنينا... / إن نكن عشنا حفاة جائعينا/... إن تكن أو هنت
الفأس قُوانا / فوقفنا نتحدى الظالمينا... / فبنينا لأمانينا سُجوننا... / وملأنا كأسه من دمنا
/فتساقانا جراحاً وأيننا / وجعلنا حجر القصر رؤوسا / ونقشناه جفوناً وعيوننا / فلقد
ثُرنا على أنفسنا / ومحونا وصمة الذلّة فينا (المصدر نفسه: ٧٣)

فإنّ العديد من الدوافع مثل الدين والتركيز على الله، والوطنية ومناهضة الاستعمار،
والقضايا الفلسطينية وخاصةً مصائب أفريقيا، هى رموز تُقدّس آلام الفيتورى ومعاناته.
وبهذا النوع من التفكير يحبّ الألم ويعتبره مصدر فخر واعتزاز. (الفيتورى، ١٩٧٠: ٨)

يعتبر فرانكل تحمل الألم والمعاناة أهم مبدأ للمعنى. إنه يعتقد أننا إذا وجدنا سبباً روحياً أو دنيوياً لعذاب العالم، بصرف النظر عن الحقيقة، فإن هذا الفهم الروحي يسبب الالتزام والمسؤولية و يسهّل أيضاً تحمل الألم والمعاناة بما لها من معنى وهدف يؤدي إلى الخلاص والقيام بشيء عظيم و نبيل. فإن فهم طبيعة المعاناة هو الذى يداعب الروح البشرية ويكون مهدتاً وليس مزعجاً لها. وهذا فرق واضح بين نوعين من التفكير وفلسفة الحياة؛ تفكير لا يرى غاية لمعاناة الإنسان ويؤدي إلى الفراغ والانزعالية، ومن ناحية أخرى تفكير آخر يعتمد على الهدف العالى لكل عمل فيعتبر المعاناة فى سبيله مقدسة وصالحة.

النتيجة

وختاماً يمكن استخلاص النتائج أدناه:

يبحث فيكتور فرانكل وعدد كبير من المفكرين مثل أدلر، ماسلو، شولتز والآخرين بمبادئهم وتكتيكاتهم فى العصر الحديث، حيث تعاني البشرية من الفراغ الوجودى، عن المعنى كقوة دافعة للبشر خلافاً لمبدأ أصالة المتعة فى فكرة فرويد، وبالتالي، فإن دلالات "المعنائية" متجذرة فى تاريخ الفكر الإنسانى وما تبلورت فى الأدب والشعر. تتأثر "المعنائية"، إضافةً إلى الاعتماد على طبيعة الإنسان وفطرته، بالعوامل الخارجية مثل أحداث الحياة سعيدة كانت أم لا. فنرى أن دراسة الأعمال التى تركها إلياس أبو شبكة و محمد الفيتورى و هما من الشعراء الكبار فى الأدب المعاصر، أظهرت الازدواجية والاختلاف الواضح فى نظرتهم الى الدنيا وفلسفة الحياة، فتبلورت الأبعاد النفسية (السيكولوجية) والاجتماعية (السوسيولوجية) ل"معنائية" فيكتور فرانكل فى دراسة مقارنة لأشعارهما. تُبين دراسة قصائد إلياس أبو شبكة أن الشاعر قد تأثر بأحداث مريرة فى حياته، ولجأ إلى الدنيوية الشديدة واقترب من الفراغ الوجدانى والعدمية. فللحياة وأحداثها دور أساسى فى الالتزام بالمعنى وكذلك بلورة هذا الالتزام فى إنتاجات الأدباء و الشعراء. فنرى أنه تتجلى وجهات نظر ويكتور فرانكل فى كتابه "العلاج بالمعنى" وهى التى تقوم على اكتشاف المعنى بثلاث طرق هى: القيام بعمل نبيل

و تجربة "قيمة" سامية وتقدّس المعاناة وحرمة الألم، في أشعار الفيتورى. فالشاعر يعتمد على المثل العليا وهي نقطة البدء في بناء المحتوى الداخلى للبشرية جمعاء، ويحارب الظلم ويحبّ أرض إفريقيا، كما أنّه يعتبر المعاناة في حياته و حياة الشعب العربى مقدّسة. يلوح هذا الحب و هذه المعاناة و الألم في جميع أنحاء قصائده. وأمّا ابو شبكة فيفتقر شعره إلى الحبّ والهدف النبيل والمعاناة المقدّسة كمبادئ أساسية لـ"المعنائية". يمتلئ شعره بالشعور بالوحدة و اليأس الذين يصوّران جميع جوانب الوجود الإنسانى نحو الهدم والدمار، ولكننا نرى أنّ الفيتورى في شعره يتجنّب عن مخاطر العبثية، بمخلطه بين حرمة المعاناة و الحبّ و الغاية السامية و الالتزام الإنسانى، فيحقّق تجربة إلهام المعانى بالجمع بين الأمل والمعنى. فإنّ التأكيد على محورية النفس و المسؤولية الذاتية و الاعتزاز بالنفس و تبجيلها مع كل المبادئ المشاركة اليها هى التى بانعكاسها فى الأدب و الشعر و كل الأعمال الفنية، تجلب الرضا و السكينة للشخص و للآخرين، فإنّ تصف معظم قصائد محمد الفيتورى بهذه الأسس، بينما لم تظهر هذه المبادئ فى شعر أبو شبكة. فمن الأبعاد العديدة التى تؤثر على سلوك الإنسان، يظهر بوضوح دور الأبعاد النفسية والاجتماعية والبيئية فى أعمال هذين الشعارين.

المصادر والمراجع

الف. العربية

القرآن الكريم

- ابوشبكه، الياس. (١٩٩٩م). الاعمال الشعرية الكاملة. بيروت: دار العودة.
- البابوي، محمد محمود. (٢٠٠٤م). عمالقة الادب العربى المعاصر. بيروت: دار الأرقم.
- بقاعى، ايمان. (١٤١٤ق). الفيتورى، الضائع الذى وجد نفسه. بيروت: دار المكتب العلمية.
- سابايارد، نازك. (١٩٦٩م). الياس ابوشبكة قلب سال شعراً. بيروت: بيت الحكمة.
- شرارة، عبد اللطيف. (١٩٨٢م). الياس ابو شبكة. بيروت: دار بيروت.
- صالح، نجيب. (١٩٨٤م). محمد الفيتورى و المرايا الدائرية. ط١. بيروت: الدار العربية للموسوعات.
- عبود، وليد نديم. (١٩٩٨م). الياس ابو شبكة، المجموعة الكاملة فى الشعر. مصر: لانا.
- الفاخورى، حنا. (١٤٢٧ق). الجامع فى تاريخ الادب العربى. قم: انتشارات ذوى القربى.
- الفيتورى، محمد. (١٩٧٢م). الاعمال الكاملة. مصر: مطبعة الهيئة المصرية.

_____ . (١٩٧٩م). ديوان. ج ١ و ٢. بيروت: دار العودة.

موسى، منيف. (١٩٧٦م). محمد الفيتوري شاعر الحس و الوطنية و الحب. بيروت: دار الفكر العربى.

ب. الفارسية

شولتس، دوان. (١٣٦١ش). روانشناسى كمال و الكوهاى شخصيت سالم. ترجمه گيتى خوشدل.

طهران: نو للنشر.

فرانكل، ويكتور. (١٣٨٩ش). انسان در جست و جوى معنى (الإنسان فى طلب المعنى). ترجمه مهين

ميلانى - نهضت صالحيان. ط ٢٣. طهران: درسا للنشر.

_____ (١٣٦٦ش). يزشك و روح (الطبيب و النفس). ترجمه فرخ سيف بهزاد. طهران: ويس

لنشر.

_____ (١٣٨٨ش). فرياد ناشنیده براى معنى، روان درمانى و انسان گرايى (صرخة غير

مسموعة للمعنى، العلاج النفسى و الإنسانية). ترجمه مصطفى تبريزى و على علوى نيا. طهران:

فراروان للنشر.

مولانا، جلال الدين. (١٣٨١ش). كليات شمس تبريزى. ط ٣. طهران: سنابى للنشر.

ج. الإنجليزية

Adler, Alfred. (1919). Problem of neurosis Kegan paul. London: New haven .yale university press.

Mazlow . A . H. (1971). self-Aktualization and Beyend in challenjes of Humanistic Psychology New York. Megrow Hill. P. 281.